في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٦ —

ج ٦ ص ٢١٠ : قال أبو حيان : قال الصاحب بن عباد لأبي واقد الكراييسي :

يا هذا ، ما مذهبك ؟ قال مذهبي أن لا أقر على الضيم ، ولا أنام على الهَوْن ، ولا أعطي صمتي لمن لم يكن ولي نعمتي ، ولم تصل عصمته بعصمتي . قال : هذا مذهب حسن ، ومن ذا الذي يأتي الضيم طائعاً ، ويركب الهَوْن سامعاً ؟ ولكن ما نحلتك التي

من الارتفاع ؟ أو هل تكر الكهولة راجعة إلى الشباب الذي ولى عهده ، أو الطفولة التي تقضى أوانها ؟ كذلك الأمم لاوقوف في حياتها ولا رجوع ، حتى تستنفد حيويتها ويبلغ أجلها مداه ، كما يبلغ أجل الفرد مداه ، وكل ما هنالك من الفرق أنها لا تفنى بفناء الفرد ، بل يدركها ما نسميه الانحطاط ، وليس يحفظها من الانقراض إلا دخول دماء جديدة فيها ، فتصبح وكأنها تسربت في غيرها وغابت فيه ، لأن هذا النير أقوى وأزخر حيوية ، فإذا لم يتح لها ذلك بادت كما بادت القرون الخالية .

من أجل هذا نؤثر أن نستبشر بالاعتراف القريب باستقلال شرق الأردن ، ويسرنا أن الله قد حقق لصاحب السمو الأمير عبد الله ما كان مأربه من أول يوم دخل فيه هذا البلد الطيب ، لما دخله ليضعه تحت الانتداب البريطاني ، بل ليستقل به ويكون ملكا عليه حراً فيه ، غير أن المقادير جرت بخلاف ذلك ، فالآن تم له ما أراد ، أو بعضه ، فله منا التهنئة ، والرجاء المخلص أن يرى في هذا ما يغنيه عن التفكير في « سورية الكبرى » ، فإن نجاح المسعى إذا اتجه إلى العراق ، أقرب منه إذا اتجه إلى سورية.

والله أعلم ، وهو الموفق .

ابرهيم عبد القادر المازني

تنصرها ؟ قال : نحلتي مطوية في صدري ، لا أتقرب بها إلى مخلوق ، ولا أنادي عليها في سوق ، ولا أعرضها على شاك ، ولا أجادل فيها المؤمن . قال : فما تقول في القرآن ؟ قال : ما أقول في كلام رب العالمين الذي يعجز عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه ، وبحثوا عن خافي سره وعجائب حكمته ، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله ، وليس له مثل مظنون فضلا[1] عن مثل متيقن . فقال له ابن عباد : صدقت . ولكن أمخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال: إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك فما يضرك ، فقال : يا هذا ، أبهذا تناظر في دين الله ، وتقوم على عبادة الله ؟

قلت : ضبطت (الهون) في (لا أنام على الهون) (ويركب الهون سامعاً) بالفتح وإنما هي بالضم . في الصحاح : الهون بالضم الهوان ، وفي الكشاف في تفسير (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) : على هون على هوان وذل ، وقرئ على هوان . وقال في تفسير (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) : الهون الهوان الشديد ، وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء ، يريد المراقة في الهوان والتمكن فيه .

و (الهون) بالفتح : السكينة والوقار كما في الصحاح . وفي الكشاف في تفسير (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) : الهون الرفق واللين[2] .

(ولا أعطي صمتي لمن لم يكن ولي نعمتي) هي (ولا أعطي عصمتي) أي قيادي وزمامي . في التاج : قال محمد بن نشوان الحميري في (ضياء الحلوم) : أصل العصمة السبب والحبل . وفي اللسان أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه .

---

(١) قلت : قال العلامة الفيومي في مصباحه : قال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب (لا يملك درهما فضلا عن دينار) من كلام العرب .

قلت : هو تركيب مولد صالح ، وهو في كلام أئمة في نثر وفي شعر ، قال أبو تمام في قصيدة يهنىء الواثق ويعزيه بأبيه المعتصم :

لو يقدرون مشوا على وجناتهم وعيونهم فضلا عن الاقدام

(٢) المعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار ، ولا يضربون بأقدامهم ، ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة ، وعن أبي العالية : نسختها آية القتال . ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع (الكشاف) الرعة : الطريقة ، السيرة .

(إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك) هى (إن كان غير مخلوق كما يزعم خصمك) لأن (القدم) قول خصمه و (الخلق) قول الصاحب ومن تمذهب بمذهبه . وفيه يقول أبو محمد الخازن فى إحدى قصائده :

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها ... إليه مستبقات أى إلقاء
فنـاس سبعتها منه بأربعة ... أمر ونهى وتثبيت وإمضاء
كذاك (توحيده) ألوى بأربعة ... كفر وجبر وتشبيه وإرجاء[1]

« والمعتزلة — كما فى شرح المواقف — لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجوب الأصلح ونفى الصفات القديمة يعنى أنهم قالوا : يجب على الله ما هو الأصلح لعباده ويجب أيضاً ثواب المطيع فهو لايخل بما هو واجب عليه أصلا ، وجعلوا هذا عدلا ، وقالوا أيضاً بنفى الصفات الحقيقة القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيداً » .

فى (الفرق بين الفرق) : « وكلهم (أى فرق المعتزلة) يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث ، وأكثرهم يسمون كلامه مخلوقاً » .

فى (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) : « قالت المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة إن القرآن كلام الله سبحانه وإنه مخلوق لله لم يكن ثم كان ... وحكى عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق ، ونصفه غير مخلوق ، وحكى محمد بن شجاع أن فرقة قالت : إن القرآن هو الخالق ، وأن فرقة قالت هو بعضه ، وأن فرقة قالت : إن الله بعض القرآن وذهب إلى أنه مسمى فيه ، فلما كان اسم الله فى القرآن ، والاسم هو المسمى كان الله فى القرآن » .

قلت : روى ياقوت فى معجم البلدان عن كتاب لمسعر بن مهلهل فى ذكر ما شاهده فى بلاد الترك والصين والهند أن « قبيلة تعرف بالبغراج لهم أسيلة بغير لحى يعملون بالسلاح عملا حسناً فرساناً ورجالة ، ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوى وأنه من ولد يحيى بن زيد ، وعنده مصحف مذهب ، على ظهره أبيات شعر رثى بها زيد ، وهم يعبدون ذلك المصحف[2] .

(١) قال الثعالبى فى اليتيمة : لما قال هذا جعل الصاحب يحرك رأسه مستحسن .

(٢) وفى هذه الكتاب : وزيد عندهم ملك العرب ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه عندهم إله العرب ، لا يملكون عليهم أحدا إلا من ولد ذلك العلوى ، وإذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم ، وشخصوا أبصارهم إليها =

والزمخشرى يقول فى ديباجة الكشاف : « الحمد لله أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ، ونزله بحسب المصالح ، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً ، وأوحاه على متشابهاً ومحكماً ، وفصله سوراً وسوره آيات ، وميز بينهن بغايات . وما هى إلا صفات مبتدأ مبتدع ، وسمات منشأ مخ فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شىء بالحدوث عن العدم » .

قال السيد الجرجانى فى حاشيته : « يروى أنه وقع فى أم (نسخ الكشاف)[1] خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف لأن القرآن حادثاً أمر شنيع عند الخصم فأراد أن يكتمه أولا يظهره بعد سوق مقدمات مسلمة عنده ، ومستلزمة له فى نفس الأمر ، فإن ذلك أقوى فى استدراجه إلى التسليم م لا يشعر به » .

وشاعرنا البحترى كان فى قوله فى القرآن يدور مع الله قال الإمام المرزبانى فى كتابه (الموشح) :

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله الك قال : قلت للبحترى : ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى بها أبا سعيد (أأفاق صب من هوى فأفيقا) :

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ... ويحرفون كلامه ا

أصرت قدرياً معتزلياً ؟ فقال لى : كان هذا دينى فى أيام ا ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل . فقلت له : يا أبا عبادة ، ه سوء يدور مع الدول ...

قلت : فى تعريفات الجرجانى : القدرية هم الذين يزعم كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والعاصى بتقدير الله

وفى (شرح المقاصد) : اتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أه على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم ،

= يقولون إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها ، ومعجزة هؤ يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحى ، وأنهم قيام الل عيونهم واسعة ...

(١) ذكر ابن خلدون الكشاف فى فصلين من مقدمته ا الأول : ومن أحسن ماالتمل عليه هذا الفن — اللغة والاعراب و من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري إلا أن مؤلفه من أهل فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة . . فصار ذلك الم أهل السنة انحراف عنه ... مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفا على المذاهب السنية فلا جرم أ من غوائله فلتغتنم مطالعته لقراءة فنونه فى اللسان .